بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير جزء عمَّ

د. محمد الخضيري

الدرس (10)

سورة الأعلى– سورة الغاشية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

حياكم الله مشاهديَّ الكرام، وحيا الله الإخوة الحضور معنا في هذا المكان الطيب المبارك.وهذا مجلس من مجالس التفسير في هذه الأكاديمية الإسلامية المباركة.

وقد وصلنا بالأمس إلى سورة الأعلى، وأخذنا مقدماتها، وبينا أن الصحيح فيها أنها سورة مكية، وأن مَن قال إنها مدنيَّة لم يُصِب في ذلك.---- **واليوم ندلف إلى السورة ونبيِّن معانيها، خصوصًا أن معنا اليوم -بإذن الله عز وجل- سورتين كريمتين يُجمع بينهما في التفسير، أو----- يُجمع بينهما في التلاوة فيُقرآن في صلاة الجمعة،**

ويُقرآن في صلاة العيد،---------- وتُقرأ سورة الأعلى في صلاة الوتر دون سوة الغاشية.

اليوم معنا سورة الأعلى تفسيرًا، ثم معنا سورة الغاشية تفسيرًا وبيانًا لأهم المعلومات عن هذه السورة -أسأل الله لي ولكم التوفيق والسداد.

يقول الله -عز وجل: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى}، هذا أمر بالتسبيح، والتسبيح ما معناه-----**التسبيح، يُقال: سبِّح**، وسبحان، ويُسبِّح. ما معناه؟

{التسبيح: التنزيه}.---التسبيح هو التنزيه---، فمعنى سبِّح: أي نزِّه.وسبحان: هذا تنزيه لله -عز وجل.

وقد جاء التسبيح مفتتحًا به سبع سور في القرآن الكريم. {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ} [الإسراء: 1].

وعندنا سور المسبحات، وهي: {سَبَّحَ لِلَّهِ} [الحديد:1]، --------{سَبَّحَ لِلَّهِ} [الحشر:1]،------- {سَبَّحَ لِلَّهِ} [الصف:1]،-----

و{يُسَبِّحُ لِلَّهِ} [الجمعة: 1]،---------- و{يُسَبِّحُ لِلَّهِ} [التغابن: 1]،---------- و{سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} هذا في سورة الأعلى.

أما سور المسبحات التي يُطلق عليها كمجموعة **"المسبحات"** فهي خمس، الحديد--، والحشر----، والصف،----- والجمعة، ---والتغابن.

وقد افتُتِحَت به سور من القرآن الكريم بلفظ التسبيح وانتظمت جميع التصرفات:

فالمصدر:--- سبحان.

والفعل الماضي:---- سبَّح.

الفعل المضارع:---- يسبح.

الفعل الأمر:----سبِّح اسم ربك الأعلى.

وهذا يدلنا على عظم التسبيح وأهمية منزلته،---- ولذلك جُعِلَ جزءً من الأذكار التي يقولها المسلم في اليوم والليلة، في الصباح والمساء، وفي كل وقت، ويقوله أيضًا في الركوع وفي السجود كما جاء في هذه الآية عندما نزلت

، قال النبي -صلى الله عليه وسلم: (اجعلوها في سجودكم).

ولذلك تُشرع في سجود **الصلاة المفروضة ---والنافلة، ---وفي سجود التلاوة، --وفي سجود الشكر،---- وفي سجود السهو**

لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- **قال مُطلِقًا: (اجعلوها في سجودكم)**

{سَبِّحِ}، هل هذا خطاب لرسول الله أو لكل مَن يقرأ هذه الآية؟ يصلح أن يُقال هذا، ويصلح أن يُقال هذا، ولا إشكال في ذلك -إن شاء الله.

{سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى}، هل المُسبَّح الاسم أو الرب؟------ **الحقيقة أن المسبَّح هو الرب، المنزه هو الرب -سبحانه وتعالى-**

وإنما جيء بالاسم ليبيِّن أن التسبيح لابد أن يكون مذكورًا فيه الاسم، -وليس المقصود تسبيح القلب؛ بل المقصود تسبيح القلب مع تسبيح اللسان.

فأنت تقول: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى}، أي سبِّح ربَّك ذاكرًا اسمَه.------ **وهذه فائدة نفيسة،**

وهي أن التسبيح لا ينبغي أن يقتصر أمره على القلب؛ بل لابد من نطق اللسان، ولذلك جاء قوله {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى}.

وجاء بوصف **"الأعلى" ليدل على أن لله -عز وجل- العلو كله، العلو الكامل، ولم يقيِّده بعلوٍّ معين** ليدل على أن له العلو بجميع أنواعه، علو الذات، وعلو القدر، وعلو القهر، وهذه ثلاث أنواع للعلو.

علو الذات،------- وعلو القدر،---------- وعلو القهر.

علو الذات: وهو أن الله -سبحانه وتعالى- مستوٍ على عرشه فوق سماواته،-- بائنٌ من خلقه، يُشار إليه بجهة العلو، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- للجارية: **(أين الله؟).** قالت: في السماء. قال لصاحبها أو سيدها: **«أعتقها فإنها مؤمنة».**

وقد ثبت هذا العلو -وهو علو الذات- بأدلة كثيرة

أدلة من الكتاب، ومن السنة، ومن إجماع السلف الصالح، ومن العقل، ومن الفطرة.

وهذه الأدلة قلَّما تجتمع في شيءٍ محدد، وهي أدلة كثيرة جدًّا ذكرها أهل العلم واستوعبوا كثيرًا من ألفاظها لأنه قد وقع فيها الخلاف بين الطوائف الإسلامية، بخلاف علو القدر وعلو القهر فإنه لم يقع فيهما خلاف بين الطوائف الإسلامية.

فأنت إذا قلت **"الأعلى"** تثبت لله العلو من جوانبه الثلاثة:

1--- علو القدر.----

2--- وعلو القهر: ----وهو أنه مستعلٍ على خلقه، قاهر لهم.

3--- وعلو الذات: -----وهو أنه فوق السماوات -سبحانه وتعالى.

ويقول المسلم هذه الكلمة عند السجود لأنه يهوي بأعلى ما فيه إلى الأرض، فيتذكر بذلك علو الله -سبحانه وتعالى- الذي له العلو الكامل من جميع النواحي.------قال واصفًا نفسه: {الَّذِي خَلَقَ}، أي خلق كل شيء.-------{فَسَوَّى}، أي جعله مناسبًا لما خُلق له.

يعني مثلًا: خلق العينين وجعلهما في الرأس من أجل أن تبصر الأشياء، لو جعل العينين مثلًا في الرجلين لكان الأمر فيه مشقة، وكذلك جعل العظام القويَّة في الأسفل لتحمل البدن، هذا من التسوية، جعل كل شيءٍ معتدلًا مناسبًا لما خُلِقَ له.

{وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى}، **قدَّر كل شيء فهداه لما يُصلحه،**---- فأنت ترى السخلة تخرج من بطن أمها، وفي دقائق تهتدي إلى ثدي أمها، علمًا بأن أمها لا تلقمها ثديها، وأنها تهتدي إلى الثدي وتعرف مكان اللبن دون أن يكون ذلك بتعليم من الأم.

بل انظر إلى الجنين عندما يخرج من بطن أمه، من حين ما تلقمه الأم الثدي يبدأ بالمصِّ. مَن الذي علمه أن يمصّ؟ لماذا لا يوضع الطعام أو الشراب في فمه فيبتلعه؟ لا، يمصُّه مصًّا قويًّا. مَن الذي هداه لذلك؟-----بل انظر إلى هذه الحيونات الكثيرة جدًّا كيف تهتدي إلى أرزاقها؟

وسيأتينا ذلك في سورة الغاشية عندما يقول الله -عز وجل: {أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ} [الغاشية: 17].

انظر إلى القط -وهذا نراه نحن دائمًا في بيوتنا وفي شوارعنا- كيف يصيد ويصل إلى صيدته؟ تجده يختفي ويحاول أن يضع الحبائل للصيد حتى يستطيع الإمساك به.----------هذا كله من هداية الله -عز وجل- لكل مخلوق لما يصلحه وما يناسبه.

البارحة كنت أشاهد فيلمًا قصيرًا عن نوعٍ من السمك يسمى **"قذَّاف الماء".** هذا النوع من السمك يأتي قريبًا -وهو في النهر- قريبًا من الأشجار، فإذا رأى صرصارًا أو شيئًا من الحشرات في الشجرة قذف إليه الماء، فضربه بالماء على بعد مترين، فتسقط هذه الحشرة فيصيدها.

والعجيب أنه ماهرٌ جدًّا في قذف الماء، لأنه يقذفه بدرجة ميلان معينة يستطيع أن يصل بها إلى هذا الصرصاراو تلك الحشرةوهذامن العجائب!

لما رأيت الفيلم قلت: سبحان الله الذي خلق فسوَّى، والذي قدَّر فهدى!

قال الله -عز وجل: {وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى}، هذا في جميع المخلوقات، في ابن آدم هداه لسبيل الخير وسبيل الشر {إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا} [الإنسان: 3]، {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ} [البلد: 10].

قال الله -جل وعلا: {وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى}، **هذا من عطف الصفات -كما يقولون- ليس في الذوات،** ---بل تُعطَف صفة على صفة، جاء محمد الكاتب والشاعر، و..، إلى آخره. هذا من عطف الصفات.قال

{وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى}، -----**أي النبات والكلأ الذي يكون في البراري والبوادي.**

قال: {فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى}،---- **جعل هذا المرعى الأخضر.**

{غُثَاءً}،-----**أي يابسًا.**

{أَحْوَى}،----- **قد اسودَّ من اليُبس.**

وهذا فيه تذكير بماذا؟ تذكير بأمر البعث، --لأن أمر البعث يكون كما يكون حال هذا النبات في البراري، يصل إلى حالة اليُبس، ثم ينزل عليه المطر في الموسم القادم فيعود أخضر، **كذلك أنتم يا بني آدم تموتون فتبلون فيبعثكم الله -سبحانه وتعالى- فتعودون كما كنتم.**

وقد قال بعض العلماء: "والذي أخرج المرعى أحوى،--- فجعله غثاءً"---، فجعلوا كلمة "أحوى" من وصف المرعى.

وهذا القول يُخالف ترتيب الآية ونسقها، ----وما دام كذلك؛ فإننا لا نقول به إلا إذا اضطررنا إليه. وهذه قاعدة من قواعد التفسير، وهي أننا لا نخالف الترتيب في الآية ونظم الآية، ونقدم فيها المؤخر ونؤخر فيها المقدم إلا إذا لم يكن للآية وجه إلا أن تُحمل على ذلك.

أما إذا كان لها وجه بأن تُحمل على نظمها المذكور في كتاب الله -عز وجل- فإن الأولى أو الراجح هو أن تبقى على نظمها، وتكون كلمة "أحوى" من وصف "غثاء"، وليست من وصف "المرعى".

"أحوى" من وصف "غثاء"،----- أي: فجعله يابسًا مسودًّا من طولِ اليُبس.

وليس كما يقول بعضهم: **"والذي أخرج المرعى أحوى"** أي مسودًّا من خضرته، "فجعله غثاءً" أي يابسًا بعد أن كان أخضرَ شديدَ الخضرة. فهذا قولٌ يُخالف الترتيب. وهذه قاعدة من قواعد الترجيح.--قال الله -سبحانه وتعالى: {فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى}.

بعد ذلك انتقل إلى وعدين كريمين لرسولنا -صلى الله عليه وسلم- قال فيهما: {سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى}، **يا محمد هذا وعدٌ منَّا أننا ننزل عليكَ هذا الكتاب الذي لا عهد لك به فتقرأه فلا تنسى منه شيئًا، سنقرئك يا محمد فلا تنسى شيئًا من هذا القرآن الذي أقرأناكَ إيَّاه، لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يعالج من التنزيل شدَّة، وكان يقرأ وجبريل يوحي إليه هذا القرآن**، فأنزل الله -عز وجل- قوله {لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ} [القيامة16-18]، فكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يُنصِت وجبريل يُلقِي عليه الوحي، **فإذا فصم عنه الوحي إذا به قد استوعبَ الآيات وحفظها لم يخرم منها شيئًا -عليه الصلاة والسلام.**

قوله: {سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى}، **"لا" هنا اختُلفَ فيها هل هي "لا" نافية أو ناهية؟ ما تقولون أنتم؟**

هل هي نافية ------أو ناهية؟

الجواب---{"لا" نافية}--- "لا" نافية. لماذا لا تقول:---- "لا" الناهية؟

{بدليل وجود الياء في الأخير، لأنه لو كانت ناهية لكانت مجزومة بالنهي}.نعم، أحسنت، وهذا من المرجحات، وهو الاستدلال بالرسم على صحة أحد القولين.

فمن قال: إنها ناهية. نقول له:-------لو كانت ناهية -كما قال أخونا رياض- لو كانت ناهية لجاءت من دون ألفٍ مقصورة، **لكان "فلا تنس"**، فلما جاءت {فَلَا تَنْسَى} عرفنا أنها **"لا" النافية**، ----و"لا" النافية لا تجزم الفعل المضارع.

ولذلك من قواعد الترجيح: الاحتكام إلى رسم المصحف.

وقد مرَّ بنا مثالٌ في سورة المطففين {وَإِذَا كَالُوهُم وَإِذَا كَالُوهُمْ أو وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ} [المطففين: 3].

قال الله -عز وجل: {سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى}، ما معنى هذه الآية؟ أي سنقرئك ما نوحي إليك يا محمد فلا تنسى شيئًا منه، ثم استثنى فقال: {إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ}، يعني إلا ما شاء الله أن تنساه.

وهذا قد جاء تأويله في سورة البقرة في قول الله -عز وجل: {مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أو نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أو مِثْلِهَا} [البقرة: 106].

فالرسول -صلى الله عليه وسلم- يوحى إليه بالآيات، ثم يشاء الله -عز وجل- أن ينسخ هذه الآيات ويرفعها بعد أن أُنزلَت بحكمة يعلمها -سبحانه وتعالى- فتُنزَع ولا يبقى منها شيءٌ بعد أن كانت أُنزلَت على رسول الله -صلى الله عليه وسلم.

ولا مانع أيضًا من أن يدخل في حكم الآية أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قد يوحى إليه بالآيات فيقرأها على أصحابه فيحفظونها ثم ينساها في لحظة من اللحظات بحكم البشرية، لأن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بشر، وقد قال: **«إنما أنا بشرٌ أنسَّى -أو أنسَى- كما تنسون، فإذا نسيتُ فذكروني»**، وقد فتح عليه بعض الصحابة في صلاته، أو أُرتِجَ في صلاته -عليه الصلاة والسلام- فلم يرد عليه أو لم يفتح عليه أحدٌ من الصحابة، فلما سلَّم قال: **«أين فلان؟ لمَ لمْ تفتح عليّ؟»**، يعني لِمَ لمْ تذكرني بما فات عليَّ من الآيات؟

لا مانع أن يدخل هذا المعنى في قوله: {سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى (6) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ}.

ولما ذكر النسيان ذكر علم الله لمناسبته في هذا الموطن،----- فإن الله -سبحانه وتعالى- لا ينسى ولا يليق به أن ينسى، كما أنه لا ينام ولا تأخذه سِنَةٌ ولا نوم -سبحانه وتعالى.

قال: {إنه يعلم الجهر وما يخفى}، فهو -سبحانه وتعالى- الذي يعلم ما نجهر به وما نخفيه.

هنا يأتي السؤال: إذا كان الله يعلم ما نخفيه فهو قطعًا يعلم ما نجهر به،---- فما الذي جعله يقول: {إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى}؟ لماذا لم يكتفِ بقوله: **"إنه يعلم ما يُخفى" مثلًا. لماذا قرَن بينهما؟**

الجواب ---- **هو: ليبين لك الله أن علمه بالجهر وبما يُخفى على قدر سواء**،---- نحن يختلف عندنا ما يُخفى عما يُجهر، أما الله -سبحانه وتعالى- ما تخفيه وما تسره في نفسك وما تعلنه؛ كلها بالنسة له سواء -سبحانه وتعالى.

الوعد الثاني لرسولنا -صلى الله عليه وسلم- قوله: {وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى}، هذا وعدٌ كريم لرسولنا -صلى الله عليه وسلم- وهو أن الله سيهيِّئ له أسباب اليسر، الأسباب الموصلة إلى الجنة بيسر، وأسباب الحياة الكريمة بيسر أيضًا، ومن ذلك يسر دينه -عليه الصلاة والسلام- **فدين محمد يسير وسهل وسمح.**

وأنا أذكر أننا إذا أحيانًا حضرنا بعض المجالس التي يريد فيها النصارى أن يدخلوا في الإسلام، يقولون: كيف ندخل في الإسلام؟

فنقول: تقول "أشهد ألا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله".----------يقولون: وماذا بعد ذلك؟

نقول: ما في شيء، يدخل الإنسان بهاتين الكلمتين.

يقولون: لكن نحن عندنا في النصارنية هناك شيء يسمى التعميد، وأشياء وتراتيب كثيرة جدًّا تفعلها من أجل أن تدخل في النصرانية.

قلنا: لا، في الإسلام الأمر ميسور جدًّا، بمجرد أن تنطق بهاتين الكلمتين مع يقينك بهما دخل في الإسلام، ولو متَّ بعد أن نطقتَ بهما فأنت مسلم ولك أحكام المسلمين.

وكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مسيرًا في كل شؤونه،----- في نومه، في طعامه، وشرابه، في مركوبه، في حياته الزوجية، في بيته، مع إخوانه وأهله، مع أصحابه، في كلِّ حالٍ من أحواله، لأن الله قد يسر له حياته، وجعله ميسرًا لليسرى، لأنه هو -عليه الصلاة والسلام- يحب اليسر، ما خُيِّر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا.

فكان -عليه الصلاة والسلام- ينام حتى إنه ينام على الحصير فيؤثر في جنبه، وما قُدِّم له شيءٌ إلا إن اشتهاه أكله، وإلا تركه، وما عاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- طعامًا قط.

وقد قيل في وصفه -عليه الصلاة والسلام: إنه لا يردُّ موجودًا ولا يتكلَّف مفقودًا.

يعني لا يقول: اصنعوا لي كذا وكذا وكذا، -----ولا يرد شيئًا بين يديه في الحضر إلا أن يكون شيئًا تعافه نفسه -عليه الصلاة والسلام- كما عافى الضب عندما قُدِّم له -عليه الصلاة والسلام- قال: **«إني لا أجده بأرض قومي فأجدني أعافه»، فأخذه خالد بن الوليد وأكله.**

قال: {وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى (8) فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى}، أمره الله -عز وجل- أن يُذكر،

بعد الوعيد أمره بهذا الأمر، وهو أن يذكر.والتذكير هو أن يقول أو يأمر بالشيء ويذكر الناس به،---- ويعلمهم إياه مرة بعد أخرى، التذكير يكون بتعليم الشيء الذي يجهل الناس، ويكون أيضًا بتكرار الشيء الذي قد عُلِّموه، كل ذلك يُسمَّى تذكيرًا، فذكر.----------ثم قال: {إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى}، **هل هذا معناه: إن لم تنفع فلا تذكر؟**

من العلماء مَن يقول بذلك، وهو أنه متى رجوتَ أن الذكرى تنفع فذكر، ومتى ظننت أن الذكرى لا تنفع فلا تفعل.

وقد قال به جماعة من العلماء،---- وهو أنهم أعملوا هذا الشرط، وقالوا: ----متى كانت الذكرى نافعةً أو غلب على ظنِّ الإنسان أنها نافعة وجب عليه أن يذكر،------- ومتى غلب على ظنه أنها غير نافعة فإنه يُعفى عنه أنه لا يُذكر.------مثل أن تجد إنسانًا غاضبًا ويزمجر ويتكلم فترى أنك لو ذكرته أو تكلمت معه لازداد غضبًا، فأنت ترجئ التذكير إلى وقتٍ آخر.

ومثلما يكون أحيانًا عندما تدخل مجلسًا من مجالس الملوك مهيبًا وترى أنك لو تكلمت بكلمةِ حقٍ أمام هذا الملك، أو هذا الرئيس، أو هذا السلطان، أو الطاغوت أو غيره لبطش بك وآذاك؛ فتؤجل التذكير حتى يخلو بنفسه، أو حتى تخلو به، أو تكتب له كتابًا، أ تجلس معه على انفراد. هذا قول لبعض أهل العلم.

وبعض أهل العلم يرى أن المعنى: -----فذكر إن نفعت الذكرى وإن لم تنفع،----- لأن الذكرة نافعة في كل حال.

قولوا: ويدل لذلك ما يأتي من الآيات، لأن الله قال: {سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى (10) وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى}، فقوله {وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى} يدل على أن هناك من الناس مَن يُذكَّر ونحن نعلم أنه لا يتذكر، وهذا قولٌ لبعض أهل العلم، وهو أنهم يرون أن الآية إنما نصَّت على التذكير في موطن النفع، ولكنها لم تنهَ عن التذكير في غير موطن النفع، **يعني ما قالت: --"فذكر إن نفعت الذكرى--- وإن لم تنفع فلا تذكر"،**

وإنما قالت: {فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى}، والآيات تدل على أن الذكرى نافعة بكل حال، لأنها تكون على الذي يخشى تنفع بالاتباع، والذي لم يخشَ تنفع بإقامة الحجة وبراءة الذمة.---قال الله -عز وجل: {فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى (9) سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى}،

هذا وصفٌ لمَن يتذكر وهو أنه يخشى،---- فكل مَن وقعت الخشية في قلبه والخوف من الله -عز وجل- والعلم بالله

لأن الخشية تختلف عن الخوف من جهة أن الخشية خوف بعلم،--- وأما الخوف فلا يلزم فيه أن يكون بعلم.

قال: {سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى}، مَن يخشى الله -سبحانه وتعالى- سيتذكر وينتفع بما يسمع من الموعظة والأمر والنهي والعلم.

{وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى}، أي يبتعد عنها ويجانبها فلا يقبلها ولا يستمع إليها.

الأشقى: الذي كتب الله عليه الشَّقْوَة.

قال: {الَّذِي يَصْلَى}، **أي يدخل ويقاسي حرَّ النار.**----{يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى}، وهي نار جهنم -نسأل الله العافية والسلامة.

وهب قوله {الْكُبْرَى} **هل يدل على أن هناك نارًا قبلها؟ وهي النار التي تنال الإنسان في قبره** لأن مَن يُعذَّب في قبره يُفتَح له باب إلى النار، فيأتيه من سمومها وحرها فيقول: يا ربِّ لا تقم الساعة، لا تقم الساعة. لمَا يعلم من أن عذابه إذا بُعثَ أشد من عذابه وهو فيقبره.

قال الله -عز وجل: {ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى}، ----**طيب، سؤال: إذا كان لا يموت ولا يحيى؛ إذن ما حاله؟**

لا هو ميت ولا هو حيّ، وكل الموجودات إما أن توصف بالموت أو توصف بالحياة، وليس لها وصف ثالث. فما معنى هذه الآية؟

{المعنى: أنه شدة من العذاب، فلا هو يموت فيستريح،----- ولا هو يحيى حياة مستقرة فينتفع بها، وإنما هو بينهما حتى يدل على شدة حاله في أهوال العذاب}.------ صحيح، يعني لا هو ميتٌ فيستريح، ولا هو حيٌّ فيتنعم ويتلذذ بحياته، فلا هو من هؤلاء، ولا هو من هؤلاء.

قال الله -عز وجل- بعد ذلك: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى}، هذا هو المقطع الأخير في هذه السورة الكريمة، وقد افتتح بقوله "قد".

"قد" هذه يا إخواني تدل على التحقيق، يعني تحقق، فهي من أدوات التأكيد.

{قَدْ أَفْلَحَ}، والفلاح هو الفوز والظفر بالمطلوب، ومنه سميَ "الفلاح" يفلح الأرض لأنه ماذا؟ يفوز بالثمرة والزرع والغرس، ونحوذلك.

{قَدْ أَفْلَحَ}، أي فاز وظفر بالمطلوب.

{مَنْ تَزَكَّى}، أي مَن زكَّى نفسه وطهرها.----والتزكِّي مبني على أمرين:

1- تخلية.

2- وتحلية.

مثل تمامًا النبات، لا يمكن أن ينبت والغرس لا يمكن أن يحيى إلا بشيئين:

الأول:---- أن تنظف الأرض من الشوائب ومن الحشرات التي تقتل وتؤذي النبات.

والثاني: ---أن تسقي الأرض بالماء الطيب، وفي الوقت ذاته تضع المواد التي تعين هذا النبات على الحياة.

وهكذا القلب يحتاج إلى شيئين: تخلية وتحلية-----.تخليه من الشرك، من البدعة ومن المعصية.

وتحليه بالتوحيد والإيمان، وبالسنة، وبالطاعة والأعمال الصالحة، ولابد لك من ذلك، وإلا فلا تزكية.

وكلمة التزكية في اللغة تأتي بمعنيين لابد من مراعاتهما لمن أراد أن يتزكى:

الأول: الزكاء بمعنى الطهارة،----- يقال: نفس زاكية أي طاهرة.

- الثاني: والزكاء بمعنى النماء،---- يقال زكى الشيء أي نما وزاد.

ومنه زكاة المال سميت بذلك لأنها تطهر المال من الخبث الذي دخل فيه وماذا؟ تنميه أي تزيده، فما أحد زكَّى ماله إلا زاد الله ماله، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم: **(ما نقصت صدقة من مال).**

قال: {وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى}، **{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى}، طهر نفسه من الذنوب والمعاصي**، وزكَّى نفسه بالإيمان والتوحيد والطاعة.

{وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ}، **أي أكثر من ذكر اسم الله -عز وجل.**

{فَصَلَّى}، **جعل الصلاة مبنية على ذكر اسم الله** ليبين لنا -يا إخواني- أن الذي يذكر الله ويعظم الله في نفسه، ويكثر من ذكره بلسانه يدعوه ذلك إلى أن يستكثر من الصلاة، وتستجيب للصلاة أعضاؤه، ويستجيب له بدنه، وهذا معروف ومشهور

***** مَن أكثر من ذكر الله أحب الصلاة واطال فيها وخشع فيها،-----**

*****ومَن أقلَّ من ذكر الله عظمت عليه الصلاة وضعفت جوارحه عنها.**

قال: {وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى}.

بعض العلماء يقول: {تَزَكَّى} أي زكاة الفطر.------{وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى}: صلاة العيد.

هذا نقول مثال، وليس هو معى الآية بالتحديد؛ بل معناها اعم من ذلك.

قال الله -عز وجل: {بَلْ}، **"بل" في اللغة تأتي للإضراب، الإضراب نوعان**:

1- إبطالي------2- وانتقالي.

الإبطالي: لإبطال الكلام السابق، تقول: ما جاء محمد بل علي، فـ"بل" هنا للإبطال.

وتاتي للانتقال، أن تنتقل من كلامٍ إلى كلام.------وهنا جاءت للانتقال، {بَلْ تُؤْثِرُونَ}، أي تقدمون وتختارون الحياة الدنيا الفانية العاجلة، لما طُبع فيكم من حب العاجل.

{وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى}، يعني كيف تؤثرون الدنيا الفانية الأولى العاجلة، والآخرة قد جمعت بين أمرين عظيمين:

الأول: أنها خير، خير في ذاتها.----------والثانية: أنها باقية.

ولذلك قال أحد السلف: "لو كانت الآخرة خزفًا يقى، والدنيا ذهبًا ينفى؛ لكان حريًّا بالعاقل أن يأخذ الأبقى"، أم لا؟ أنت لو قيل لك: نعطيك خزف لكن يبقى، أو ذهب لكن يفنى. أيها تختار؟ الخزف، مع أنه ليس مساويًا للذهب. لماذا؟ لأنه يبقى ويدوم.

قال: "فكيف والآخرة ذهب يبقى، والدنيا خزف يفنى؟!".

وهذا يعتبر -يا إخواني- من الأشياء العجيبة التي لا يجوز أن تذهب عن أذهاننا، وهي أن الآخرة خير في ذاتها وباقية لا نفاد لها، ومع ذلك الناس يؤثرون الفانية التي فيها المتاع الذي امتلأ بالمنغصات والمنكدات والبلايا والرزايا.-----قال: {وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى}.

ثم قال الله مؤكدًا هذا الكلام ومبينًا أنه كلام يستحق أن تعقد عليه الخناصر، وأن يؤخذ بكل جدٍّ واهتمام.

{إِنَّ هَذَا}، طيب، **"هذا" اسم الإشارة يعود إلى ماذا؟**----{لهذا الذي ذُكر في السورة}.

طيب، ما هو الذي ذكر؟ من أولها أو من قوله {قَدْ أَفْلَحَ}؟------**{لا، كل الذي ذكر في السورة}.**

حتى قوله {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى}، و{وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى}؟--------**{ما يتعلق بالآخرة، وتزكية النفس، والتزكية}.**

****** من العلماء مَن قال:---- أن "هذا" عائد على قوله {قَدْ أَفْلَحَ} وما بعدها.**

******ومنهم مَن قال:---- أنه عائد على السورة من أولها.**

والأظهر هو الأول. لماذا؟ لأن الكلام الاول فيه حديث عن رسول الله، ثم أن "هذا" اسم إشارة للقريب، فتعود إلى أقرب كلام يصح أن يُنسب أو يُشار إليه.---------فلو قيل أنها راجعة إلى قوله {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى} لكان أولى -والعلم عن الله.

قال: {إِنَّ هَذَا}، أي هذا الوارد أو المذكور.

{لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى}، **مذكور في الصحف الأولى التي سبقت هذه الصحيفة التي أنزلت** على محمدٍ -صلى الله عليه وسلم- وهي القرآن، {صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى}، ذكر منها صحف إبراهيم، وهي الكتاب الذي أنزل على إبراهيم تسمى

صحف إبراهيم،-------**ولا يُعرف لها اسم آخر غير هذا، وموسى وهو التوراة.** وبهذا نكون انتهينا من سورة الأعلى،

وننتقل بعد ذلك إلى سورة الغاشية. -----سورة الغاشية -- **موضوعها ظاهر**

وهو الغاشية، وهو القيامة-------، فهي تتحدث عن القيامة وما فيها من الهول، وانقسام الناس إلى فريقين:

1------ فريقٍ من أصحاب الوجوه الخاشعة العاملة الناصبة التي تصلى نارًا حامية.

2----- وفريق آخر من أصحاب الوجوه الناعمة التي أعدَّ الله -عز وجل--- لها ما لا عين رات ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

وهذه السورة مكيَّة بالإجماع----- ولم يُختَلَف في كونها مكيَّة أو مدنيَّة، **بل هي مكيَّة**.

وقد جاء في فضيلتها ما ذكرناه في سورة الأعلى، أنها تُقرأ في صلاة الجمعة، وتقرأ في صلاة العيد. هذا ثابت في هذه السورة الكريمة.

يقول الله -عز وجل: بسم الله الرحمن الرحيم {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ}، "هل" هنا يراد به ماذا؟ التهويل والتفخيم.

هل جاء هذا الحديث الفخيم العظيم وهو حديث الغاشية؟

******والغاشية اسم من أسماء يوم القيامة**، ----لأنها تغشى الناس بهولها، وضجيجها، وصوتها، ورعبها المرجف الذي لا يدع شيئًا من الأفئدة إلا ملأه بالخوف والرهبة.

*******وقد قال بعض المفسرين أن "الغاشية" هنا اسم للنار**-----. ولا مانع من ذلك، لا مانع أن يكون اسمًا من أسماء النار، لكن **أكثر المفسرين من السلف على أن الغاشية هي القيامة.**

قال الله -عز وجل: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ}، **وقد جاء للقيامة في القرآن أسماء، الحاقة، والقارعة، والصاخة، والطامة، والقيامة، والغاشية، ويوم التناد، وغيرها من الأسماء التي ذكرت ليوم القيامة**، نعم.

{قول الله تعالى {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ} هذا يقوِّ قول من قال أن الغاشية المراد بها يوم القيامة}.

وما الذي يمنع أن يكون {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ} يوم تكون في النار خاشعة، عاملة ناصبة، تصلى نارًا حامية

هل---- يمكن؟--نعم ولكن الاول اولى

طبعًا الأول أقوى لا شك، وهو أن الغاشية هي يوم القيامة.

قال: {وُجُوهٌ}، وصف الوجوه، والمقصود أهلها كلهم، يعني بجميع أعضائهم وحواسهم، لكنه ذكر الوجه لماذا؟

لأن الوجه هو الذي يعبر عن كتلة البدن، ----فأنت تعرف من وجه الإنسان أنه مسرور،---- وأنه مستبشر،---- وأنه حزين، وأنه متألم من قسمات وجهه؛ ----بل حتى سريرته تبدو لك من صفحة وجهه،

كما قال عثمان -رضي الله عنه: "ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله على صفحة وجهه وفلتات لسانه".

قال: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ}، **هذا الخشوع مخالفٌ لما كان عليه في الدنيا،---- فإنه كان في الدنيا لا يعرف الخشوع،**

فرح، وضحك، ولعب، ولهو، لا يعرف فيه شيء من ذهه المعاني، فيأتي يوم القيامة ليكون بضدِّ حاله في الدنيا.

ماذا قال الله في سورة الانشقاق؟ {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا} [الانشقاق 7-9].

ولذلك بعض الناس يقول: يا أخي ما تنظر إلى هؤلاء الذين تصورهم لنا شاشات التلفاز من الغربيين الكفار، دائمًا مبتسمون ضاحكون مستبشرون مسرورون؟

نقول: نعم، وهذا السرور الذي يحصل لهم إنما هو مما يجله الله لهم من طيبات الدنيا، ولكن يدخر لهم الذل كما قال الله -عز وجل: {وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ} [الشورى: 45]، جزاءً وفاقًا.

بينما المؤمن تجده دائمًا خائفًا، حتى وهو يعمل الصالحات تجده خائفًا. لماذا؟

يخشى أن يُردّ عليه عمله، يخاف ألا يكون أخلص في عمله، يخاف ألا يُتقبّل منه، إذا أذنب بقيَ خائفًا، لأنه يخشى أن يؤاخذ بذنبه، وألا يقبل الله توبته.

قال الله -عز وجل: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ} [المؤمنون: 60]،

ولذلك لا تكاد تجد المؤمن إلا يحاسب نفسه، ما أردت إلى هذا؟ ماذا قصدت بهذه؟ دائمًا يحاسب نفسه.

قال الله -عز وجل: {عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ}، **أي في يوم القيامة وفي النار هذه الوجوه وهؤلاء الناس الكفار يعملون عملًا كثيرًا** هو جزء من جزائهم وعذابهم،------ وينصبون نصبًا شديدًا،----- قد يكونون في الدنيا ممن ارتاح واستلذّ وطابت له الحياة،----- لا يصوم،----- لا يصلي، لا يقوم، لا يحج، لا يأمر بمعروف،----- لا ينهى عن منكر، -----لا يجاهد في سبيل الله،----- مرتاح،------ لأن هذه العمال فيها مشقة، ولها ضريبة لا نشك في ذلك-----، ولكن الله -سبحانه وتعالى- يجعل عوضها راحة وسعادة أبدية يلقاها المؤمن إذا بعث يوم القيامة.

فقوله {عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ} **يراد بها هذا العمل والمشقة الهائلة التي تدخر لهؤلاء في يوم القيامة وفي النار،** فهم في النار يجرون السلاسل، ويعملون اعمالًا، {سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا * إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ} [المدثر 17-19]، يعني سيعمل عملًا شديدًا ويعذب عذابًا أكيدًا نكدًا ويتعب منه ويشقى، **حتى إنهم ينادون مالك** {وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ} [الزخرف: 77].

يقال أنه يجيبهم بعد أربعين ألف سنة، يقول لهم: إنكم ماكثون، أي باقون فيها بقاءً تامًا أبديًّا.

ومَن قال **أن "عاملة ناصبة" نزلت في الرهبان الذين يتعبدون إلى الله في الصوامع،** هذا غير صحيح، لأن الحديث في سياقه عن ماذا؟ عن القيامة وليس عن الدنيا.----فإن قيل القصة الواردة عن عمر أنه مرَّ على راهبٍ فناداه، فلما طلع إليه بكى عمر وقال {عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ}، **نقول: هذا -والعلم عند الله- إن صحَّ عن عمر؛ فإنما مراده أن يستعير اللفظ، استعار اللفظ القرآن لهذا الشيء** الذي رآه، وهو أنه يرى إنسانًا يعمل وينصب نصبًا شديدًا وفي النهاية لن يُجزَ عن نصبه بشيء لأنه لم يُوحِّد الله -عز وجل- ولم يؤمن برسول الله -صلى الله عليه وسلم.

قال: {تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً}، أي تُدخَل.---**وفي قراءة {تُصْلَى نَارًا حَامِيَةً}، أن نارًا شديدة.** {حَامِيَةً}، أي حارة شديدة الحرارة.

ومَن قال: "حامية" بمعنى نارًا حارة شديدة الحرارة-----

1--- {تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ}،--**أي يؤتى لها بشرابٍ من عين حارة شديدة الحارة قد بلغت من الحرارة منتهاها. هذا معنى قوله** {آنِيَةٍ}.

2---**ومنهم من قال**: {آنِيَةٍ} **بمعنى حاضرة. وهذا المعنى ليس سديدًا، إنما من لوازم معنى قوله ---تغلي أشد الغليان.**

قال: {لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ}، **أي ليس لهم في النار طعام إلا من هذا الطعام الذي لا ينفعه، وهو الضريع.**

والضريع عند العرب يُطلق على شجرة اسمها "الشِّبرق"،----- شجرة من الشوك الذي لا يكاد يؤكل ولا يُنتفع بهو فإن من الشوك ما يؤكل ويُنتفع به، تنتفع به البهائم والإبل، وهذا النوع من الشجر لا ينتفع به، فهذا ما سيكون للكفار،------- لكن ليس بين ما في **النار وما في الدنيا إلا الاسم فقط، وأما الحقيقة فمختلفة تمامًا**، كما أن ما في الجنة وما في الدنيا من النعم ليس بينها من الاشتراك إلا في الاسم فقط، وإلا فالحقيقة مختلفة تمامًا.

قال: {لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ}، ثم وصفه بقوله: {لَا يُسْمِنُ} **أي لا ينفع البدن بالسِّمَن ولا يغذي.**

{وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ}، **لا يدفع الجوع.**------إذن ما فيه فائدة أبدًا.

قال الله -عز وجل: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ}، ---

هذه على طريقة القرآن في المثاني، وهي أنه -سبحانه وتعالى- ذكر عذاب الكفار، وذكر في مقابله نعيم اهل الجنة، فوصف الوجوه لأنها إذا ظهرت عليها أثر النعمة والسرور دلَّ ذلك على أن باقي الجسم والنفس والقلب كلها في خير وحبور.

{لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ}، أي لعملها وكدها الذي كان منها في الدنيا راضية، يعني لجزاء سعيها راضية، فهي الآن ترى جزاء السعي فترضى رضًى شديدًا، الرضى هو منتهى الفرح بالنتيجة.

قال: {فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ}، أي رفيعة، وليست سافلة.

{لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً}، لا تسمع فيها كلمة لاغية باطلة مؤذية من اللغو الذي لا ينفع، بل قد يضر الإنسان سماعه؛ بل كل الكلام الذي يُسمع فيها كلام طيب، وكلام حق.

قال: {فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ}، أي عيون، فكلمة عين" هنا اسم جنس يدل على العيون التي في الجنة.

قال: {جَارِيَةٌ}، ليست ماكثة وباقية لتأسن ويصبح فيها الآفات وغيرها، ولكن جارية، وهذا ألذ حتى في النظر.

قال: {فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (12) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ}، سررها من طيبها ولينها وجمالها مرفوعة، وكلما كان السرير مرفوعًا كان أبهى في النظر، أحسن في المجلس، وألذ وأتم في النعمة.

قال: {وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ}، أكواب مُعدَّة للشراب موضوعة بين أيديه، متى أرادوا أن يشربوا فإنهم يجدون الشراب، ويجدون الكوب الذي يملؤونه بما يشاؤون من أنواع الأشربة.

قال: {وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ}، النمارق جمع نمرقة، والنمرقة هي الوسادة.

{مَصْفُوفَةٌ}، حتى يا إخواني مراعاة الجمال في الأثاث وفي أنواع النعيم مراعاة وأيضًا لها معنى.

قال: {وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ}، أي قد صُفَّت صفًّا جميلًا بديعًا رائعًا.

قال: {وَزَرَابِيُّ}، أي بُسُط.----{مَبْثُوثَةٌ}، أي قد وُزِّعَت في أماكن متعددة، أينما تريد تجلس تجد هذه الزرابي، وتجد تلك الوسائد.

ثم قال الله -عز وجل- بعد أن ذكر النعيم قال: {أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ}، هذا من باب استفهام يراد به التكبت، يعني هذه نذارة الله لكم، وهذا ما وعدتم به، أو حُذِّرتم منه، ما الذي يجعلكم تكفرون؟! -----فلم تروا إلى قدرة الله -عز وجل- المبثوثة بين أيديكم؟!

وبدأ بالإبل لقربها منهم، ولكثرة ما فيها من الأعاجيب، ---فإنها ملئية بالأعاجيب، يعني لو أردنا أن تحدث عن الإبل وما فيها من الأعاجيب لاحتجنا إلى ساعات، وما زال العلماء والعلم إلى اليوم يكتشف في الإبل أشياء عجيبة جدًّا

1،-- صبرها على العطش الطويل، كونها تحمل الأثقال وهي جالسة باركة ثم تقوم بها،

2-- كونها يُشرب حليبها، يؤكل لحمها، يُركب ظهرها،

3--تهتدي إلى أماكن ما، تهتدي إلى المكان الذي رجعت منه،

4-- تعرف صاحبها، تحقد فتنتقم ولو بعد سنين، تعرف الذي يُحسن إليها فتحسن إليه، وأعاجيبها لا تكاد تنتهي.

قال: {أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ}، مَن الذي خلقها هذه الخِلقَة؟ إذن فما الذي يدعوهم الإنكار البعث، وإنكار ما تأتي به يا محمد -صلى الله عليه وسلم- من العجائب في هذا القرآن والحقائق التي لا يجوز إنكارها، ولا يمكن لعاقل أن يشكَّ فيها.

قال: {وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ}، أي جُعلت منصوبة عالية.

{وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ}، فإن قيل: هل الأرض مسطحة؟ قلنا: نعم، هي في نظرنا مسطحة، وإن كانت في جملتها كريَّة مدوَّرة، لكن في النظر نراها أمامنا سطحًا واضحًا ظاهرًا.

ثم قال الله -عز وجل: {فَذَكِّرْ}، **يا محمد، أنت بعد أن أقمت الحجج، وبينت الدلائل، وذكرت المصائر والجزاء، ذكر** {إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ}،----- هذه مهمتك، ليس عليك أن تخلق الهداية فيقلوب هؤلاء؛ بل عليكَ أن تذكرهم، وليس عليك شيء آخر.

{لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ}، لستَ قهَّارًا لهم تجبرهم على الإيمان، وما أنت عليهم بجبار.

{إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ}، يعني لكن، هنا "إلا" بمعنى لكن، لكن مَن تولى وكفر، {فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ}،

وهذا كما في سورة الأعلى قال: {وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى * الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى} [الأعلى 11، 12]، وهنا قال: {الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ}.

ثم هدَّد بقوله: {إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ}، مرجعهم ومصيرهم إلينا، فنحاسبهم على القليل والكثير، والصغير والنقير والقطمير.

قال: {ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ}، نحن الذين سنتولى حسابهم، وسيعلمون ماذا سنفعل بهم،كما قال الله -عز وجل:

{وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} [الأنبياء: 47].

أسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يفقهنا في الدين، ويعلمنا تأويل الكتاب المبين، ويجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته.

وبهذا نصل إلى ختام هذا الدرس، أسأل الله أن ينفعني وإياكم به، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.